(آراء وأنباء)

على هامش مؤتمر علمي

الدكتور عبد السلام العجيلي

خلال ثلاثة أيام، في نهاية شهر آب ومطلع شهر أيلول من عام ١٩٩٦، عقد اتحاد أطباء العرب في أوربا مؤتمره السنوي الثالث عشر في مدينة فرانكفورت في ألمانيا.

واتحاد أطباء العرب في أوربا منظمة علمية واجتماعية أعضاؤها أطباء ينتمون في جنسياتهم إلى مختلف البلدان العربية، ولكنهم يقيمون حالياً في أوربا ويمارسون عملهم في اختصاصاتهم الطبية في الدول المتباينة من هذه القارة. وقد جرت عادة الاتحاد أن يقيم مؤتمره السنوي كل عام في واحدة من مدن أوربا الكبيرة. وكان من حظي، أنا كاتب هذه السطور، أن حضرت اثنين من هذه المؤتمرات، أولهما المؤتمر السنوي الحادي عشر الذي أقيم في العاصمة الفرنسية باريس في صيف عام ١٩٩٤، والثاني المؤتمر الأخير وقد عقد، كما ذكرت، في مدينة فرنكفورت الألمانية بعد عامين من ذاك.

تصدرت برنامج الدعوة إلى هذا المؤتمر كلمة لرئيس لجنته العلمية، الدكتور عمر فيضي محمود، تضمنت فقرة رأيتها مهمة فيما تثيره وتدعو إليه. وهذا ماساقني إلى إنشاء هذا المقال لمجلة مجمع اللغة العربية. في هذه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفقرة يقول كاتبها مايلي:

«إن الطب شأنه شأن العلوم الأخرى يتطور باستمرار ويغتني بنتائج البحوث والكشوف العلمية ولذا كان لزاماً متابعة مايجدّ فيه دون توقف ..... وإننا نحرص على أن تكون لغتنا لغة العلم بشتى فروعه واختصاصاته. إن العلم سيبقى غريباً في ديارنا وسيبقى علماؤنا مقطوعي الصلة بشعبهم ووطنهم إذا نحن لم نجعل من اللغة العربية لغة المؤتمرات ولغة البحث والتأليف في أوساطنا العلمية».

وحقاً فقد نص برنامج الدعوة هذا على «أن لغة المؤتمر هي اللغة العربية، يستثنى من ذلك المحاضرون غير العرب».

هذا الحرص من أطباء وعلماء يتكلمون اللغات الأجنبية ويعملون في مواطن هذه اللغات، على أن تكون لغتهم العربية هي لغة البحث العلمي ولغة المحاضرة في مؤتمرهم، أمر جدير بالإعجاب. وهو كذلك جدير بالتقدير بصورة خاصة من قِبل المثقفين والمفكرين في البلاد العربية ممن يواجهون في مواطنهم حملات التشكيك بصلاح لغتنا لأن تكون أداة التعبير عن معطيات العلم الحديث، وحملات اتهامها بأنها عائق كبير دون تقدمنا الحضاري. وهذه وتلك حملات تصدر عن أعداء أمتنا ويستجيب لها، مع الأسف، نفر من أبناء الأمة ضعاف في همتهم وفي ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم.

وقد عالج المؤتمر في أيام انعقاده الثلاثة، وفي سبع جلسات متتالية، موضوعات طبية متفرقة حاضر فيها علماء عرب وغير عرب، كل في اختصاصه. كانت المحاضرات في غالبيتها الكبيرة تلقى باللغة العربية، وتدور المناقشات حولها بهذه اللغة أيضاً. كما أن واحدة من هذه المحاضرات، وقد ألقاها الأستاذ الدكتور منير البيطار العميد السابق لكلية الطب في جامعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمشق، دارت على تجربة التعريب في هذه الجامعة السورية، وهي الجامعة الرائدة في تعليم الطب وسائر العلوم باللغة العربية في مختلف كلياتها. وقد بين الأستاذ المحاضر كفاءة لغة الضاد في تدريس العلوم الحقيقية خلال عشرات السنين الفائته، مشيراً إلى الأجيال العديدة من خريجيها ممن أثبتوا قدراتهم وعلو مستوى ذخيرتهم العلمية في كل البلدان وفي كل الاختصاصات.

أما كاتب هذه السطور فقد افتتح قراءته للبحث العلمي الذي أعده للمؤتمر بكلمة عبر بها عن غبطته بأن شهد اعتزاز زملائه الأطباء العرب في أوربا بلغة آبائهم وأجدادهم، ودلائل إيمانهم بإمكانات هذه اللغة، على الرغم من أن كثيراً مما يحيط بهم في أمكنة مزاولتهم لمهنتهم في الحاضر يدعو إلى الاستهانة بهذه اللغة وبالأمة التي تتكلمها. استهانة مصدرها جهل بالحقائق أو تجاهل وتحامل مقصودان ومتعمدان. واستطردت في كلامي مشيراً إلى أن اللغة، أية لغة كانت، هي أداة للفعل وليست الفاعل نفسه. فإذا كان من تقصير فليس سببه الأداة بل السبب فيه يعود إلى المؤدي مستخدم الأداة. وضربت للمستمعين مثلاً طالما رددته على أسماع الذين يعددون الصعوبات في تعلم لغتنا قراءة وكتابة وفي التعبير بها، إذ أقول لهم تأملوا في اللغة اليابانية وتفكروا ... فمن المعروف أنه لكي يحسن المتعلم كتابة هذه اللغة يجب عليه أن يحفظ ثلاثة آلاف حرف من حروفها، وأن لكل اسم في مفرداتها صيغاً متعددة في كتابته لا تشبه إحداها الأخرى عدا ألوان أخرى من العسر في تعلمها لا تخطر لنا على بال. ومع ذلك لم تحل هذه الألوان من العسر بين اليابانيين، أصحاب هذه اللغة، وبين أن يبلغوا مابلغوه في عصرنا من التقدم العلمي والتكنيكي ومن القدرة والغنى.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لست، في هذه العجالة التي أردتها كلمة على هامش المؤتمر السنوي الثالث عشر لاتحاد الأطباء العرب في أوربا، في سبيل التطرق إلى مادار فيه من أبحاث، في جلساته المخصصة للأمراض الجراحية والهضمية والعصبية وجلسات اختصاصات الطب الأخرى. ما أردت قوله هو الإشادة بجهود إخواننا الأطباء والعلماء، ممن يعيشون أوربا ولا يتخلون عن الاعتزاز بالانتماء إلى أمتهم، أو عن إيمانهم بقدرة لغتها على أن تكون أداة كفؤاً لمتطلبات البحث العلمي، ولا عن سعيهم إلى أن يجعلوها كذلك. فلعل القائمين على إعداد المؤتمرات الطبية والعلمية التي تعقد كل يوم في مختلف أرجاء الوطن العربي، والتي كثيراً ما تستأثر اللغات الأجنبية فيها بالحصة الكبرى في المحاضرات والمناقشات، لعل أولئك القائمين يجدون في إيمان أعضاء اتحاد الأطباء العرب في أوربا وجهودهم درسا ويتخذون فعلهم قدوة في هذا المجال. وذلك لئلا «يبقى العلم غريباً في ديارنا ولئلا يبقى علماؤنا مقطوعي الصلة بشعبهم ووطنهم»، كما أشارت الكلمة التي أوردتها في مطلع مقالي عن مقدمة برنامج المؤتمر السنوي الثالث عشر لهذا الاتحاد.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net